الثورة الإيرانية

ومستقبل العنف ضد المرأة بالشرق الأوسط..

قراءة تحليلية

د. محمد الموسوي

كاتب وباحث عراقي

يكتب لدى مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات

إصدارات مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات

نوفمبر / تشرين الثاني 2022م

صادر عن
مؤسسة
اليوم الثامن
alyoum8.net
للإعلام والدراسات

العنف ضد المرأة عار إجتماعي وهدم للفرد والمجتمع، ومعوق من معوقات النهضة، ولا يمكن تجز أته عن مفهوم العنف الاجتماعي كونه أحد أبرز أشكال العنف بالمجتمع، ومقالنا هذا هو دراسة وقراءة موجزة في هذا السياق بقصد التنوير والمعالجة ومساهمة إلى جانب عشرات المساهمات المكتوبة بهذا الصدد

العنف لدى جميع الخلائق صفة من الصفات القائمة والمتفاوتة من مخلوق لآخر؛ ولكن للعنف البشري وضع آخر تنوع وتفاوت من بيئة لأخرى، ومن مجتمعات وحقبة زمنية لأخرى وبظواهر وممارسات ودوافع مختلفة، ويأتي العنف ضد المرأة كأحد أنواع العنف السائدة بعدة صور في المجتمعات البشرية، وعلى الرغم من أن مقالنا هو للحديث عن العنف ضد المرأة إلا أننا سنركز هنا على العنف بشكل عام وفق رؤية إجتماعية مختصرة تبين أن العنف ضد المرأة سلوك بشري مهين يدلل على همجية الممارسة وانحدار المُمارِس وانكسار المُمارسِ بحقه وبالتالي تردي النشىء والمجتمع، وهنا تكون الممارسة عارا لا يجلب إلا عار، وللعار والشرف مفاهيم أوسع من تلك المفاهيم التي درجت عليها مجتمعاتنا، وهنا لا يمكن النهوض بالمجتمع من خلال هكذا ممارسات إذ لا يمكن للمرأة الأم أو الأخت المُعيلة أو الجدة المُعيلة والمدرسة والمعلمة المربية لا يمكن لهن أن يخلقن رجلاً صالحا يتحمل المسؤولية ويكون حضوره بالمجتمع حضورا ناجحا أو مشرفا أو لائقا على الأقل وهن محطمات متآكلات إثر ما يتعرضن له من إضطهاد، وبالطبع لا يخلو المجتمع من بعض الحالات من النساء اللواتي يصنعن من مآسيهن إنتصارات

ويتركن رجالاً وبناتً صالحين في المجتمع ذلك عندما يتناسين مظلوميتهن ويزرعن في أبنائهن الفضيلة والمحبة وروح العدل والتسامح والقيم النبيلة وعدم ظلم الغير أو الإنتقاص منه.. عندما تربي ولدها وابنتها على احترام أبناء وبنات الناس كفريضة واجبة لأنه إذا أراد أن يعيش عزيزا كريما في مجتمعه عليه أن يبدأ بإحترام والدته وشقيقته وعمته وخالته وجدته ومدرسته ومعلمته وجارته وابنته، وبذلك يكون قد أسس هو وغيره ممن هم على شاكلته لنواة إجتماعية صالحة يصلح من خلالها المجتمع، فالمرأة الحرة تربي أحرارا والرجل الحر يصون أهله من النساء والرجال على حد سواء لكنه بصيانته وتكريمه للنساء من أهله ومجتمعه يكون قد أسس لمستقبل أسرة حرة أبية من البنين والبنات، وعلى العكس ماذا ينتظر الأب أو الأم عندما يربيان أبنائهما على العنصرية والأنانية وأكل حقوق الغير أو عدم الإكتراث بهم .. (الأم مدرسةٌ إن أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق) والعكس.

من الأمور المؤسفة في مجتمعاتنا البشرية وفي مجتمعنا الشرق أوسطي على وجه الخصوص أن ثقافتنا وفكرنا الإصلاحي الاجتماعي محدودين، وبالتالي فإن فكر الإستثمار في الإنسان فكرا فقيرا ضحلا مما يعزز من وجود الروح البشرية غير السوية لدى البعض، تلك الروح التي تميل إلى نزعة التسلط واستعباد الآخر واستنزافه كأدوات ووسائل لبلوغ الغايات، ولا يعترف بوجود ذلك الآخر إلا هامشيا، ولا يؤدي له حقا واجب الآداء إلا بالطريقة التي تناسبه هو وترضيه، ومن بعض الأمور التي يجب أن ندينها في دواخلنا هي أننا لا نتداول قضية العنف ضد النساء إلا بالمناسبات ولم نضع هذه القضية في مقدمة أولوياتنا، وأبقيناها على الهامش وبقينا بسببها على الهامش، ومن خلال هذا المقال نريد أن نخرج عن الهامش باستعادة بعض المعارف البديهية التي قد تكون غائبة عن البعض وتناساها البعض الآخر الذي لا يرغب في الدخول إلى ما يسمونه هم بصداع الفكر، ونسميه نحن بجوهر الفكر التحرري، أما البعض الآخر فيرى في تناول هكذا نوع من الفكر هدما للمجتمع، وهذا البعض الأخير هو من نريد هدمه لينجو المجتمع من سوءاته ونظرته المتدنية لأمه وشقيقته وزوجته وابنته، فأمهاتنا وشقيقاتنا وبناتنا ولدن حرائر ولسن جواري لأحد، وكأحرار تأبى أنفسنا أن نعيش في مجتمع عبيد وجواري.

العنف، والعنف ضد النساء ميراث متأصل بالشرق الأوسط بجميع دوله، والكل متورط فيه وتتورط فيه حتى بعض النساء بقصد أو بدون قصد، لذا فالقضاء على العنف ضد النساء هو بمثابة إصلاح مجتمع أو إعداد إمرأة وفقاً لهذه القاعدة (الأم مدرسةٌ إن أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق) وفي هذا المسار نعرف العنف على النحو التالي:-

العنف البشري:

العنف البشري كسلوك تمارسه فئة من البشر ذات قوة ونفوذ مع من هم أقل منها قوة وقدرة بغض النظر عن كونهم رجالا أو نساءا، أو سلطة تمارس سطوتها بالعنف فتطال كل من يتعارض أو يختلف معها فتطغى عليه وتنتهك حقوقه وهذا في حد ذاته نوع من أنواع الإسترقاق من لدن القوي على المستضعف حتى لو كان المستضعف حرا فبمجرد سعي الطرف الأقوى إلى فرض رغباته وآرائه عليه مهددا إياه برزقه وكرامته وحرمانه من باقي حقوقه هنا استضعفه واستعبده، وفي حال كان للمستضعف رأي قائم على رفض الإستضعاف والظلم يصبح هنا عرضة للقتل والسجن وأنواع أخرى من العقوبات.؛ ويعد الإضطهاد من صور العنف والقمع المختلفة التي تشمل الممارسات العنصرية من حيث الشكل والجنس والعرق والطائفة، والعنصرية الفئوية والطبقية والمناطقية والموالاة واللاموالاة، والمحاربة في العمل والرزق وكبت الحريات، وهنا يمكن وصف الإضطهاد بالعبودية المعاصرة، ويعد النظام الإيراني من الأنظمة الدكتاتورية التي تمارس هذا النمط من العبودية تجاه شعبها وعموم القاطنين في إيران، وتمارس نسخة النظام الإيراني في العراق ولبنان واليمن وسوريا نفس هذه النمطية التي هي من أشد حالات إنتهاك حقوق الإنسان المعاصرة.

العنف الأُسري:

العنف الأسري سلوك إجتماعي ينم عن فقر ثقافي أو معرفي ينتج عنه غياب لغة التفاهم والحوار، ويحل محلها الضرب والعنف والإكراه والتأنيب والتوبيخ، وتتم ممارسة هكذا نوع من السلوك على جميع أفراد الأسرة بنين وبنات، وتتسع رقعة هذا النوع من العنف باتساع مساحة الفقر والجهل، ولا يُغني ثراء الغفلة المفاجئ في هذه الأزمات من شيء كأن يعالج قضية العنف الناجمة عن فقر دون غنىً ثقافي ومعرفي يزيل مسببات هذا العنف

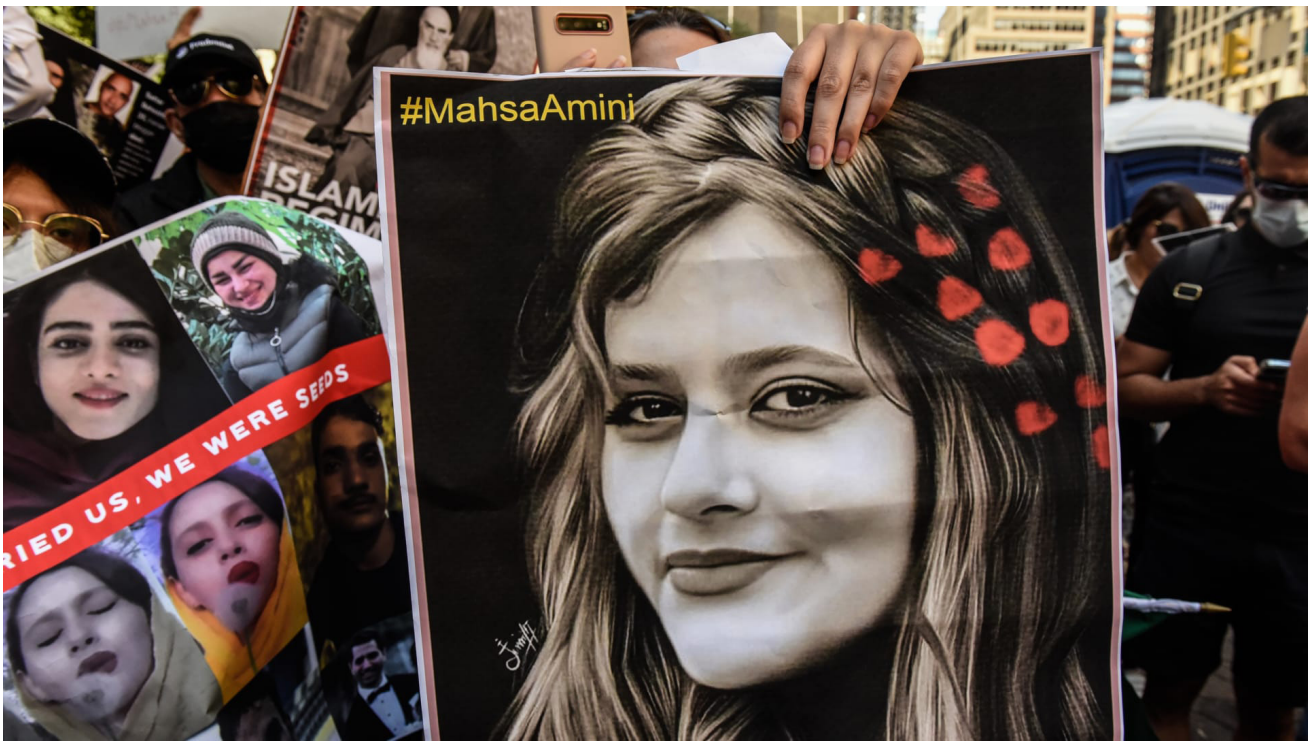

الأسري وقضية العنف بشكل عام من الجذور إذ أن ثراء الغفلة لم يأخذ مساحته المطلوبة من النمو والترقي الذي يصاحبه نموا فكريا وثقافيا متدرجا لدى الفرد والأسرة وهو ما من شأنه أن يسهم وبأثر كبير في معالجة هكذا نوع من السلوك.

العنف الأُسري ضد المرأة :

تبدأ الحالة الأولى بموضوع العنف الأسري ضد المرأة بعدم الترحيب بمولود البنت أو التشاؤم بولادتها ورفضها أحيانا كأن لم تكن التي أنجبتها بنتا وأختارها الزوج له إمرأة، وقد تُعنف المرأة وتُطرد من بيت الزوجية أو تُهدد بالطلاق إن لم تُنجب مولودا ذكرا علما بأن إنجاب الولد أو البنت ليس بيد المرأة ولا بيد الرجل، ولو كان الأمر بيدي أو بيد غيري لوضعنا اللوم في نوع الأجنة على الرجال؛ ولا يعلم المرء أين يكون الخير في الولد أو البنت، والحالة الثانية لما يتعلق بالعنف الأسري ضد المرأة تكون بعدم الإحتفاء بمولود البنت وإظهار مظاهر الفرحة بها واختيار اسما لائقا لها، ولا يقبل الكثيرين من الآباء أن يكنوا بأسماء بناتهم كأن يُقال له أبو فلانة، والإهمال وعدم الإكتراث بشأن تربيتها وإعدادها إعداداً جيدا شأنها شأن أخيها، وبالتالي تتعثر في حياتها بسبب العجز الذي أصابها والكبت والقهر والإنكسار الذي عانت منه في تربيتها وينعكس ذلك على شخصيتها وتعاطيها مع المجتمع، ثم نأتي ونُلقي باللائمة عليها في حين أنها ضحية من ضحايا الأسرة التي تربت فيها، ومن المؤسف أن يكون البعض منا والداً وليس أباً ويقولون في تراثنا (الأب رب) وفي هذا معنىً كبيرا لو أدركنا ذلك، ومن المؤسف كذلك أن تكون بعض النساء والدةً ولا تكون أماً وقد حدد الله الأم في التكريم، والأكثر أسفاً أن تكون بعض النساء بعقلية ذكورية شأنها شأن بعض الرجال والسلطة الذكورية، حتى وإن أنصفت تنصف بحق بناتها وذويها أما بنات ونساء المجتمع الأخريات فلا يعنين لها شيئا ولسن في إطار إهتماماتها وفجأة تصبح إحدى الضحايا التي أهملت حقها ولم تنصفها زوجة لإبنها وهنا تتعرض هي للخسارة وقد لا تدرك مسببات تلك الخسارة دون توجيه أو توعية، وبالتالي نجد أنفسنا أمام مسؤولية كبيرة وهي مسؤولية إنصاف المرأة الإنسان من أجل إعداد أسرة صالحة ومجتمع فاضل، والحالة الثالثة لما يتعلق بالعنف الأسري ضد المرأة هي بخس البنت حقها عند زواجها والتفكير بالخلاص منها سريعا من خلال القبول بأقرب حالة من حالات الزواج للفتاة دون إكتراث برأيها وقابليتها ومستقبلها وعدم الحوار معها ومساعدتها على إنضاج رأيها بهذا الخصوص والتعامل معها كسلعةٍ تُباع وتُشترى، أو يحدد لها الأهل مهرا

عاليا للإستفادة من إمكانيات زوج المستقبل المتقدم لها بدلا من التركيز معه على مستقبلها وبالتالي يتحول الزوج من طالبٍ للزواج إلى مشترٍ يحق له التصرف بما أشتراه كيف يشاء، ولو صدق الوصف على البائع والمُشتري تحول الأب والأم إلى مجرمين والزوج إلى مُستَعبِد والفتاة الضحية إلى جارية لا حول لها ولا قوة ويُصبح أحرار المجتمع رجالا ونساءا مجرمين متسترين على جُرم كبير يُستَرقُ من خلاله البنت أو المرأة الإنسان ورويدا رويدا يتحول المجتمع من مجتمع حر إلى مجتمع عبيد وإماء لا يقوى على النهوض والتنمية والرقي لتخليه عن صفاته وواجباته الإنسانية، والحالة الرابعة لما يتعلق بالعنف الأسري ضد المرأة هي عندما لا يكترث الأهل بما تتعرض له بنات الناس في بيوتهم على يد أبنائهم، وما تتعرض له بناتهم على أيدي أزواجهن من عنف وضرب وتنكيل وظلم واضطهاد يصل إلى القتل، وأبشع ألوان الظلم والقهر عندما تجد المرأة نفسها بلا سند ولا ظهير في مأساتها بجحيم بيت الزوجية ويراها الزوج المختل فريسة بلا حماية فيتجرأ أكثر فأكثر في استعبادها خاصة عندما تكون السلطات الحاكمة في البلاد من نفس النوعية البشرية أو أخس من ذلك كما هو حال نظام الملالي في إيران الذي رفع شعار الإسلام وتحت ظله مارس كل ما هو خارج عن شرع الإسلام والإنسانية بحق المرأة وعموم المجتمع، ولم تتأجج الثورة الحالية في إيران من فراغ وإنما هي بركان هائج يثور ويخفت ويعود ليثور من جديد حتى يتمدد ويأخذ كامل مساحته المطلوبة بعدها يعود إلى الهدوء والإحماء البسيط المتردد وفق ظروف الضغط البيئية من حولها.

العنف المُشرع ضد المرأة:

يتجسد العنف المُشرع ضد المرأة فيما تفرضه الأسرة والقبيلة والمجتمع والدولة على المرأة من قيود وفكر وقوانين عرفية تخلو من العدل والمساواة بين الجنسين، وسأضرب مثالا بسيطا للدرس والموعظة والإستفادة (في إحدى المشاهد اليومية التي لا تخلو من ظلم وقهر متجذر في المجتمع البشري ... جاء رجلا كبيرا في السن من بعيد يصطحب طفلين صغيرين شقيقين ولدٌ وبنت سائرا بهما في ممر أمام ناظري بينما أنا جالس بأحد الأماكن وجلس على مقربة مني وتبين لي أنهما حفيديه وقد كانا متقاربين في العمر، وحظي الولد بإهتمام كبير ليس من لدنه هو فقط بل من لدن الأسرة أيضا حيث بدى الاهتمام ظاهرا في ملابس الولد أكثر، وكان سلوك الجد أكثر ظلما إذ كان الولد يلعب في أحضانه وبين يديه يقبله ويداعبه بينما كانت البنات تحاول التقرب من جدها ليداعبها

وينصفها مثل أخاها لكنه لم يفعل ذلك حتى شعرت أنا شخصيا بالخجل والإنكسار في داخلي من هذا التصرف الظالم ولا أعرف كيف أصف الموقف، وراودتني نفسي أن أقول له خذ الطفلين معا في أحضانك لكني ترددت في ذلك وهذا جرم إرتكبته أنا في حق نفسي وحق الإنسانية وغادرت المكان وبقيت متأثرا بهذا الموقف ولم يفارقني)، القيود والأعراف المفروضة، والسلوكيات العنصرية السائدة في إطار الأسرة ضد الفتيات دون عن الفتيان والتي ينجم عنها عدم المساواة بين الأطفال تتنامى مع الأيام والسنين وتصبح من الثوابت التي يرى فيها الرجل حقوقاً مسلماً بها، وترى فيها البنت ثوابت حياة لا مفر منها ويجب الإنصياع لها، ولا يدرك كلا الطرفين أضرارها إلا بعد فوات الأوان وتراكم المشاكل المستقبلية بسبب موروثات خاطئة أو سنائن غير رشيدة لا علاقة لها بالدين ولا بالإنسانية، وهنا لا يمكن أن يكون النظر في القيود والسلوكيات غير العادلة قراءةً وتحليلاً وحلولاً ضرباً من ضروب الكفر والخروج عن الشرع والدين بحسب ما يرتأيه وعاظ السلاطين، أو تشويها للإعراف بل هي حماية لجوهر الدين والشرائع السليمة وصيانة للأعراف والمجتمع ذلك لأن الإصلاح الذي سيقوم على ضوء هكذا قراءة وتحليل وتشخيص سيوفر للمجتمع الاستقرار والنمو والإزدهار، ولا يفوتنا أن نذكر هنا بأن كثيرا من الأعراف هي خلط بين الجاهلية والدين أو أعرافاً جاهلية صرفة، ولا ننكر أيضا أن بعض الأعراف التي هي من خارج دين ما قد تتماشى مع قيم دين آخر وهذا معناه أنها مقبولةٌ إنسانيا.، وكل ما لا يتقبله منطق العقل والعدل والإنسانية مردود على منشأه ومرفوض وفيه مساس بكرامة أبنائنا بنين وبنات.

لا يزال البعض يتعامل مع المرأة من منظور مادي كسلعة ووسيلة، وجزء كبير من أنشطة مافيا الإتجار بالبشر يتعلق بالنساء، وبعض السلوكيات الاجتماعية تتعامل معها كجارية أو خادمة ووسيلة وتعزز هذه السلوكيات مجموعة التشريعات والقرارات الحكومية البائسة كما هو الحال في ظل حكم نظام الملالي في إيران أو حكم سلطات ميليشياته الصنيعة في العراق، وكذلك حال النساء في المناطق التي تقع تحت جحيم قوى التطرف الأخرى المسماة بـ القاعدة وداعش وشقيقاتها من ميليشيات الملالي سواء في العراق أو سوريا، علما بأنه لا علاقة لهؤلاء الجهلة المجرمون جميعا بالإسلام أو أي رسالة سماوية أخرى، وإن ما لاقته النساء في إيران والعراق بالإضافة إلى كونه عار إجتماعي هو عارٌ أيضاعلى البشرية المعاصرة التي تهاونت مع هكذا أنظمة وعصابات، وساعدتها في بعض الأحيان أو تغاضت عنها.

العنف المقنن ضد المرأة:

يتمثل العنف المقنن ضد المرأة في القيم والقوانين التي يضعها المجتمع وتضعها السلطات ويتقبلها المجتمع أو بعضه وتتماشى مع نمطية تفكيره، فالأب والأم اللذان يتهاونان بحق الإبنة عندما يتعلق الأمر بأخاها يورثان الإبن الذكر هذا السلوك وسيتهاون بحق زوجته وبناته فيما بعد وفقا لهذه النمطية الذكورية التي سترسخ لمجتمع ذكوري التفكير والهيمنة، والقضاء الذي يتهاون بمسألة الحقوق والعدل عندما يتعلق الأمر بالمرأة هو أيضا نتاجا لتلك النمطية الذكورية السائدة ولن يكون يكون قضاءا عادلا وبالتالي فإن إستخفاف البعض من الرجال بحقوق النساء هو نابع من يقين بأن القضاء لن ينصف إمرأة وإن فعل فسيكون شكليا أو بقدر ضئيل، ويقينه بأن القضاء ضد أو غير منصف بحق المرأة سيجعله مستخفا مجرما بحقها وسيدخل المجتمع النابت من رحم هذه المرأة في خضم قضية صراع بين شقي المجتمع صراعا يبلغ حد العداء، وإذا أخذنا موضوع العنف ضد المرأة في إيران على سبيل المثال خاصة فيما يتعلق بفساد القضاء حين يُقدِم بعض الرجال سواء كانوا أزواجا أو أشقاء أو آباء على ضرب وذبح المرأة أو قتلها أو حرقها والتمثيل بها تحت مسمى جرائم الشرف إذ يتسامح القضاء مع هكذا قضايا أو يخفف أحكامها مما يشجع على إرتكابها من منطلق من أمِن العِقاب أساء الأدب، كما أن السلطات القضائية لا تدقق في تفاصيل الجريمة من أدواتها وملابساتها وصحة دوافعها وسجل مرتكبيها أو تفاصيل أخرى تتعلق بالعدالة، وفي حال توفر معلومات بهذا الخصوص من شأنها أن يدين الجناة تتغاضى عن ذلك، وفي الوقت ذاته تتشدد في دعاوى إتهام النساء بالفاحشة حتى ولو كانت بدون دليل شرعي وكذلك لا تنظر في دوافع قتل بعض النساء للرجال سواء كانوا أزواجهن أو غيرهم في حين أن أغلب جرائم القتل التي ترتكبها النساء تكون دفاعا عن النفس، وملفت للإنتباه أن أدوات جرائم قتل الشرف بحق النساء في إيران من قبيل (الطبر – البلطة – السكين - السيف – المنجل وغيرها من الأدوات المشابهة) نجدها متوفرة لدى ميليشيات النظام الإيراني أو الميليشيات التي تم تأهيلها على يد ميليشيا الحرس في النظام الإيراني، وبتحليل تلك السلوكيات والصور النمطية في التعامل ضد المرأة في إيران نجد أن ممارسة العنف ضد المرأة في إيران هي سياسة ونهج متبعين منذ ثلاثة وأربعين عاما وأن ضحايا العنف ضد المرأة في إيران بكافة أشكاله قد بلغ مبلغا ملفتا لنظر المهتمين بهذا الشأن داخل وخارج إيران فما بالنا بحجم وقع هذه الممارسات العنيفة على النساء الإيرانيات وكذلك المجتمع الإيراني إذ تقع أضرار هذه الممارسات على كافة أبناء الأسر التي تعرضت النساء والفتيات فيها لجرائم العنف ضد النساء أو جرائم ردود الأفعال من النساء بحق المعتدين عليهن، وبالتالي يمكننا القول إن أي عملية تقنين للعنف المتبع كنهج ضد النساء لا تقع تبعاته على النساء فحسب بل تقع أيضا كجريمة قاسية على المجتمع كله.

العنف الفئوي ضد شقي الجنس البشري :

العنف كظاهرة ليست مقتصرة على إضطهاد النساء فحسب بل شملت الرجال والنساء على حد سواء في بعض الأماكن وتشددت ضد النساء في أماكن أخرى، فالعنف ظاهرة إجتماعية عامة وقد تكون متأصلة في بعض المجتمعات ومن أشكال هذه الظاهرة الإستضعاف كالذي يُمارس بحق الأقليات الضعيفة التي لا حول لها ولا قوة وقد تمارسه السلطات وبعض أفراد المجتمع التي لا تجد رادعا لها وتلقى تشجيعا من السلطات العنصرية على ذلك، والإضطهاد وهو ما تمارسه السلطات وفئات من مجتمع الأغلبية بحق الأقليات العرقية والدينية والمذهبية، والإستغلال الذي تمارسه والأفراد على حد سواء، والتنمر الذي تمارسه حكومات الميليشيات وأفرادها وبعض أفراد المجتمع الموبوء أو المعبئ بظاهرة العنف صغارا وكبارا، والقمع على الهوية الذي يُمارس ضد الإنسان على لونه وعرقه وانتماءاته وجذوره ولا يحق له ما يحق لغيره وفق هذه النمطية كما هو الحال في أنظمة الفصل العنصري، والقمع الفكري وهو ما يتعرض له أصحاب الرأي والفكر الحر رجالا ونساءا ويتعرضون للأعدام ولأشد العقوبات بسبب آرائهم وتنسب لهم أبشع التهم التي لا تدينهم بل تدين جلاديهم، والقمع الجنسي وهو العنف الذي تتعرض له النساء والفتيات تارة لكونهن نساءا وتارة لكونهن دعاة إصلاح وحقوق وتنمية ورافضات للباطل وذات تأثير كبير في المجتمع تأثير يخيف الطغاة والمتجبرين البغاة الذين يدركون جيدا كم هو حجم التأثير البالغ للأم والاخت والزوجة والمرأة الحرة على الفرد والمجتمع الحر، وعند إمعان النظر في منهجية وسلوكية نظام حكم الملالي في إيران على المثال نجد أنها لم تمارس وترعى هذه النمطية من الحكم والسلوكيات ضد الشعب الإيراني فحسب

بل نجد أنها قد إنتقلت إلى كل مكان وطأته أقدام الملالي ووقائع الأيام شهودا على ذلك ويدفع الشعب الإيراني وشعوب المنطقة ثمن ذلك باهظا، وهنا لا يمكن الخلاص من ظاهرة العنف هذه ومتفرعاتها إلا بالقضاء على الأسباب والحاضنة التي تمدها بسبل البقاء.

نجاح الثورة الإير انية ومستقبل العنف ضد المرأة بالشرق الأوسط:

مثالين حيين للعنف ضد المرأة في الشرق الأوسط، وأولهما العنف ضد المرأة في إيران وهو متجذر وعميق ومتنوع ودموي همجي لا يرقى إلى أدنى مستويات الفهم والتقدير للدور الذي لعبته المرأة الإيرانية كمربية ومعلمة وأم شهيد وشهداء تعيل الأرامل والأيتام معا وتلعب دور الجدة والأب وسند من لا سند له سواها على الأرض، وأرملة شهيد متعثرة وأم أيتام أبناء شهداء لا معيل لهم وعاملة تديم الحياة الاقتصادية في حين دُفع بكل الرجال وحتى الصبية إلى جبهات العدوان والقتال غير المشروع، وما هذا بوحي خيال أو نسج كاتب وإنما حقائق عاشها شعبي العراق وإيران اللذان هلكا في آتون الحرب والمؤامرات، وكذلك تعد نهضة المرأة في إيران عميقة وأصيلة وهذا ما يدفع السلطات الدكتاتورية السابقة واللاحقة إلى قمع المرأة والحراك النسوي خوفا على عروشهم من التهاوي والإندثار، وأينما يتفشى وباء الملالي هذا هو حال المرأة من بؤس الأوضاع إلى القمع والإضطهاد وانتهاك الحرمات وقهر الفقر والعوز والمصير البائس بيد الجهلة واللصوص والمجرمين والفسدة والمدعين وكل ذلك باسم وشعار الدين وليس حقيقته فحقيقة الدين لا يدركها الجهلة والمدعون.

المثال الثاني للعنف ضد المرأة هو العراق، العراق الذي كانت فيه المرأة العراقية منذ العهد الملكي وحتى عام 1991 في أزهى أوضاعها بالمقارنة، وعلى الرغم من ضغوط وتبعات الحرب الإيرانية العراقية عليها إلا أنها كانت في أوضاع لا بأس بها وكما قلنا بالمقارنة ولن نأخذ المرأة في الغرب مثالا في المقارنة والنمو لعدم تطابق أوجه المقارنة واختلاف المجتمعين الشرقي والغربي، وقد تكون تجربة المرأة العراقية في هذه المقارنة الآن وخاصة بعد سنة 2003 هي التجربة الأشد قسوة في هذه المقارنة إلا أن تجربة المرأة الإيرانية أكثر مرارة وقدما وعمقا فما تتعرض إليه

المرأة العراقية اليوم جاء بعد هيمنة ملالي طهران على العراق بعد الاحتلال سنة 2003 وتسلط حنود وعملاء ملالي طهران على العراق أرضا وشعبا ومقدرات وتاريخ وكرامة وقد سبقتها المرأة الإيرانية في هذه المحنة منذ عهد دكتاتورية الإكراه الشاهنشاهية إنتقالا إلى البديل دكتاتورية إكراه الملالي.

وتأتي إستمرارية الإنتفاضة الإيرانية الحالية بهذا الزخم وهذه الوتيرة المتصاعدة التي أجبرت الملالي على إستخدام القوة العسكرية الحربية داخل المدن إرتكازا على حجم معاناة المرأة الإيرانية وما تعرضت وتتعرض له من عنف وقد طفح الكيل وثارت ثائرتها وباتت اليوم في طلائع المواجهات اليوم مع عدوها متقدمة قوافل الموت مستعدة له منذ اللحظة التي تخرج فيها من باب البيت، أي أن الإنتفاضة الإيرانية اليوم تقودها ضحايا العنف وأبنائهم وأبناء وبنات الشهداء والمعدومين والسجناء السياسيين والمنفيين وذويهم والفقراء والمعدمين تحت قيادة وتوجيه وحدات المقاومة المنتشرة في مختلف أرجاء إيران، وهنا ووفق هذه المعطيات ننظر إلى المرأة كمحرك رئيسي لهذه الإنتفاضة وأول وأهم أسباب نجاحها، وأول من أعلن الحداد في مقتل الشابة الكردية البريئة مهسا أميني وطالب الشعب الإيراني كله والنساء بالخروج والإعتصام كانت السيدة مريم رجوي وهي إمرأة مناضلة..إمرأةً تقود آلاف القادة من النساء المحترفات المخضرمات بالعمل الثوري، وتقود ثورة منذ عقود وتحمل في عنقها أمانة القصاص للدماء المسفوكة على مر تلكما الحقبتين الدكتاتوريتين وعلى عاتكها مسؤولية غد أفضل لهذا البلد المنكوب إيران ومنها ستنتقل نفحات نهضة المرأة إلى العراق ثم دول المنطقة بعد عصرٍ ظلاميٍ كان عاراً على التاريخ وعلى المجتمع البشري باسره.

المرأة أولا وأخيرا :

المرأة هي حواء أم الوجود البشري برمته، والمرأة هي الأم أساس الوجود وعنوان الوجود، وهي الأخت شقيقة الوجود والسند، والمرأة هي الزوجة الحبيبة شريكة الحياة النصف الآخر للوجود والحضور البشري الرشيد، والمرأة هي الإبنة فلذة الكبد قطعة من الروح ..هذه صورة من صور المرأة؛ والمرأة جار كريم، ومعلمة فاضلة، وشريكة فكر بناء بنمطها الفريد الذي يتمم ويزين وجود الرجل ويرتقي به، المرأة أم الأبناء التي وإن لم تربهم في البيت قامت بتربيتهم وإعدادهم في المدارس.

المرأة تقيم مجتمعا بأكمله وترعاه، وقد وعينا على تلك التجربة بل والتجارب المريرة التي وقفنا من خلالها على دور المرأة في تحمل مسؤولية المجتمع عندما كانت الرجال تنصهر في آتون الحروب، فقد كانت المرأة أما وأبا ومعيلا وسندا ومربية ومعلمة ومزارعة، ومن النساء من مُعيلا لأسرتين عندما كان أخوها شهيدا وزوجها شهيدا، واحداهن في وقت قريب تخرج أحد أبنائها الذين أهدتهم للمجتمع من كلية الطب فسألوه ما أسمك قال اسمي فلان إبن فلانة فاستنكر القسم الأكبر فعله، وفهمه البعض الآخر ورحب بقوله وحياه وأمه وهي إمرأة خير تحية، فلما تم التدقيق في العينات التي استنكرت قوله فلان بن فلانة واستكثرت عليه أن يكون وفيا لمن أعده وقدمه شخصية صالحة جميلة نبيلة للمجتمع وجدنا أن تلك العينات المُستنكرة كانت من الفئات الضحلة العنيفة بالمجتمع والتي تحتاج إلى إصلاح فهي على كثرتها لا تقدم نفعا للمجتمع بل هي الأكثر هدما لذاتها قبل غيرها، وأما العينات التي رحبت به وأشادت بأمه المرأة المُكرمة من ربها وفي دينها فقد كانت الأقوى على قلتها وضعف ظاهرها، وقد كان تأثيرها عظيما مُعزا وبناءا.

ضحايا العنف ضد المرأة:

ضحايا العنف، والعنف ضد المرأة كُثر على مر العقود المنصرمة وفي أحداث الإنتفاضة الحالية ولا يتسع المقال لذكرهن وسنورد أسماء الأطفال الضحايا ولمن أحب الإطلاع على معلومات أكثر بهذا الخصوص يمكنه زيارة الرابطين المرفقين أدناه.

الأطفال الضحايا من الفتيات:

1- هستي نارويي، وهلن أحمدي، وديانا محمودي 7 سنوات.
2- مونا نقيب 8 سنوات.
3- بارميس همنوا 14 سنة.
4- آيناز جواهري، واسراء بناهي 15 سنة.
5- سارينا إسماعيل 16 سنة.
6- نيكا شاكرمي، وستاره تاجيك ، وصدف موحدي ، وأرنيكا قائمقامي 17 سنة.
7- سارينا ساعدي 16 سنة.

الثورة الإيرانية

ومستقبل العنف ضد المرأة بالشرق الأوسط..

قراءة تحليلية

د. محمد الموسوي

كاتب وباحث عراقي

يكتب لدى مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات

إصدارات مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات

نوفمبر / تشرين الثاني 2022م